الفصل الثالث :

الإعجاز العلمي في السنة النبوية

كثيرة هي معجزات النبي ﷺ عدا القرآن الكريم.ومع كل ما اختصه الله به من معجزات فهو بشر كسائر البشر دعا لتوحيد الله وعبادته سبحانه فهو المبلِّغ عن ربه قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران٧٩] ونهى أمته عن الغلو فيه ورفعه فوق منزلته ، مع كل ما فضله الله به من خصائص شريفة في ذاته أو أجراها الله على يديه ، من ذلك :

- كان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه.
- لم يكن له ظل مع شمس أو قمر .
- لم يحط عليه الذباب في حياته أبداً .
- لم يتثاءب في حياته أبداً .
- كان عرقه له رائحة طيبة .
- كانت الأرض تأخذ فضلاته وتبلعها .
- أُعطي في جسده قوة مائة رجل .
- كان يسمع صوت المعذبين في قبورهم .
- سمع صوت أطيط السماء .

أما معجزاته المادية فقد بلغت كما قال ابن كثير أنها ألف معجزة ، لن أذكرها بحصر أو بتفصيل وشرح ولكنني سوف أمر عليها بذكرها فقط :

- أعظم معجزاته المادية هو رحلة الإسراء والمعراج وهي مذكورة بالتفصيل في كتب السيرة والسنة حيث ذهب إلى بيت المقدس وصلى بالقدس إماماً بجميع الأنبياء الذين أحياهم الله له ثم عُرِج به إلى السموات السبع صحبة جبريل عليهما السلام وعاد وفراشه الذي تركه قبل الرحلة ما زال دافئاً.
- دعا بنزول الغيث فنزل الغيث في الحال حضراً وسفراً .
- انشق القمر بدعائه لما طلب المشركون ذلك حتى يصدقوا بأنه نبي من عند الله فرأوه فلقتين فوق جبلين .
- نبع الماء من بين أصابعه وشرب الجيش كله وملأوا أوعيتهم وكانوا أكثر من ألف شخص .
- وكذلك دعا بالبركة في الطعام القليل الذي لا يكفي بضعة أشخاص ، فأطعم المئات مرات عديدة منها جدي جابر يوم الخندق وبقايا طعام الجيش يوم تبوك.
- أحيا الله على يديه الفتاة من قبرها وشهدت له بالنبوة وآمن أبوها المشرك الذي اشترط ذلك حتى يسلم .
- دعا الشجر فأتاه وستره ليقضي حاجته .
- استنطق الشجر ليشهد أمام المشرك الذي طلب ذلك فشهد له بالنبوة .
- رد الله على يديه وببركته بصر العميان .
- رد بيده عين قتادة لما قُلعت في الغزوة فكانت أحسن عينيه نظراً .
- مسح عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيده وكان أرمد فشُفِي في الحال وما اشتكى من عينيه حتى مات .

- جيء له بابن حاطب وهو صبي صغير قد احترق وتهرى لحمه فمسحه بيده فبرأ في الحال .
- تفل في بئر ماء قد جفت ففاضت ماءً .
- تحدث مع الطير الذي شكا إليه سرقة بيضة من قِبَل بعض أصحابه .
- فهم الجمل وشكواه من صاحبه الذي يجيعه ويدئبه .
- تحدث مع الغزالة المصطادة وتركها صائدها كرامة لشفاعته .
- مسح ضأن شاة عجفاء في الهجرة فامتلأ لبناً .
- أخبر سراقة بن مالك في طريق الهجرة وقد كان مشركاً وقت ذاك بأنه سوف يُحلَّى سواري كسرى .
- أخبر بموت كسرى فارس وتملك ابنته وبانتهاء دولة الأكاسرة بعده .
- سمع بكاء جزع النخيل الذي كان يخطب عليه في مسجده من أجل فراقه.
- إخباره بما غاب عنه من بعض الأمور الماضيات وإسلام البعض بسبب ذلك.

كل ذلك وغيره كثير لن أقف عنده شارحاً ومفصلاً ، فالمؤمنون يصدقون بذلك كله وهو ثابت لدينا عن طريق الرواية الصحيحة المستندة على النقل الأمين بشروطه المعروفة عند علماء السنة والحديث ، ومن أنكرها من غير المسلمين فلا تثريب ولا ملامة عليه لأنه ما رآها ولا آمن بنبوة من جرت على يديه ، ولذا سوف أذكر أمثلة قليلة من الإعجاز العلمي الذي شهد له العلم اليوم بالصحة بعدما ثبت لدى العلماء المتخصصين ثبوت اليقين ، من ذلك :

* إخباره ﷺ بعدد طبقات الأرض وأنها سبع أرضين ، والحديث قد جاء في الصحيحين « من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه خُسِف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » وجاء الحديث برواية أخرى « من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يُطوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين »

أثبتت الدراسات في مجال فيزياء الأرض أنها تنبني من سبعة نُطُق محددة من الداخل إلى الخارج .

لُبُّ الأرض الصلب وهو نواة صلبة من الحديد الذي يشكل ٩٠٪ والنيكل ١٠٪.

نطاق الأرض السائل سمكه ٢٢٧٥ كم يفصله عن اللب الصلب منطقة انتقالية شبه منصهرة يبلغ سمكها ٤٥٠ كم وهي تمثل الأرض السادسة .

النطاق الأسفل من وشاح الأرض « الوشاح السفلي » وهو نطاق صلب وسمكه ٢٢١٥ يحيط بالأرض السائلة وهو الأرض الخامسة .

النطاق الأوسط من وشاح الأرض « الوشاح الأوسط » صلب سمكه ٢٧٠ كم وهو الأرض الرابعة .

النطاق الأعلى من وشاح الأرض « الوشاح العلوي » لدن شبه منصهر عالي الكثافة واللزوجة وهو نطاق الضعف وسمكه ٣٣٥-٣٨٠ وهو الأرض الثالثة .

النطاق السفلي من الغلاف الصخري للأرض سمكه بين ٤٠-٦٠ كم تحت البحار والمحيطات وهو الأرض الثانية .

النطاق العلوي من الغلاف الصخري للأرض ـ قشرة الأرض- سمكه ٥-٨ كم تحت البحار والمحيطات و٦٠-٨٠ كم وسط القارات .

إخبار النبي ﷺ بما تحت البحار :

قال النبي ﷺ : « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً » رواه أبو داود وهو حديث ضعيف

من كان يعلم من البشر أن تحت قاع البحر ناراً ومن كان يمكنه أن يغوص في أعماق البحار لأمتار معدودة حتى استطاع العلم بما توصل إليه من أجهزة الغوص أن ينزل إلى مسافة محدودة ، ثم توالت الاكتشافات حتى استطاعوا أن ينشئوا

الغواصات التي هبطت بهم إلى قاع البحار والمحيطات فكان الاكتشاف العلمي في الحرب العالمية الثانية الذي أخبرنا عن وجود شبكة من البراكين المتدفقة من قاع المحيطات عبر شبكة صدوع تمتد عشرات الآلاف من الكيلومترات.

الجبال في السنة :

مر بنا الحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن في حديثه عن الجبال ، ولننظر الآن ماذا قال النبي ﷺ عن الجبال.

روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال قالوا : يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد قالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال : نعم النار . قالوا : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء قالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال : نعم الريح قالوا : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال : نعم ابن آدم تصدَّق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله » .

وقد ثبت لنا بالعلم اليقيني أن الجبال هي التي تقوم بوظيفة تثبيت القارات وتحافظ على استقرار الأرض وكذلك انتظام الدوران.

الإعجاز في ماء زمزم :

على مدى ثلاثة آلاف عام لم يعرف أحد مصدر ماء زمزم إلا بعد حفر الأنفاق في مكة وتدفق المياه بغزارة من تشققات شعرية دقيقة ، هذا يؤكد لنا ما قاله النبي محمد ﷺ من أن زمزم هزمة جبريل- أي طرقة شديدة-وسقيا إسماعيل. وروى ابن ماجة عن النبي ﷺ « ماء زمزم لما شُرِبَ له » .

ثبت بالتحاليل أن كلاً من ماء زمزم والصخور والتربة المحيطة به خالية من أية بيكربونات حتى تلك التي توجد عادة في أي تربة.

العلاقة بين الفواحش والأمراض التي لم تكن موجودة من قبل :

في الحديث الشريف : « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا » رواه ابن ماجة .

وسوف أتعرض لهذا الأمر بمزيد من التفصيل في معرض حديثنا عن الزنا ، وأحب أن أشير هنا إلى طاعون القرن العشرين – مرض الإيدز والذي بدأ انتقاله من بين عامي٧٨ -١٩٨١ بين العشرات حتى أصبح اليوم منتشراً بين عشرات الملايين.

مم يتخلق الإنسان؟

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدِّث أصحابه فقالت قريش : يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي ، قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد مم يُخلق الإنسان؟ قال : « يا يهودي من كلٍّ يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » فقام اليهودي فقال : هكذا كان يقول من قبلك .

حقيقة علمية مذهلة لم تُعرف إلا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حيث كانوا يعتقدون أن الإنسان يُخلق جسمه كاملاً بأبعاد متناهية في الصغر من دم الحيض ، وبعد اكتشاف البويضة بويضة الأنثى قالوا بأن الإنسان يخلق كاملاً فيها كما يخلق فرخ الدجاجة في بيضتها ، وبعد اكتشاف الحيوان المنوي نادوا بأن الجنين يخلق كاملاً في رأس ذلك الحيوان ، ولم ينته هذا الجدل إلا حين اكتشفوا أهمية الحيوان المنوي والبويضة في تكوين البويضة الملقحة التي ينشأ منها الجنين.

ليس من كل المني يكون الولد :

حقيقة علمية قالها النبي ﷺ ، روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه- قال : سُئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال : « ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء » .

ثبت لعلماء الأجنة في القرن العشرين أن بين ملايين النطف الذكرية لا يصل منها إلى قناة الرحم إلا خمسمائة فيتمكن منها واحد فقط من اختراق البويضة .

الجزء الذي لا يفنى من جسم الإنسان بعد موته :

روى مسلم والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة – رضي الله عنه- عن النبيﷺ أنه قال : « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خُلِق وفيه يُركَّب »

أثبت المتخصصون في علم الأجنة كما أشار الدكتور محمد علي البار في بحث مستفيض أن الإنسان يتخلق من هذا الشريط الأولي الدقيق وإثر ظهوره يتشكل الجنين بكل طبقاته وخاصة الجهاز العصبي وبدايات تكوّن العمود الفقري ، وثبت أن هذا الشريط يندثر إلا أصل العصعص في نهاية العمود الفقري – عجب الذنب- وقد قام مجموعة من علماء الصين بالعديد من التجارب المختبرية وثبت لهم استحالة إفنـاء عجب الذنب كيميائياً بالإذابة في أقوى الأحماض فيزيائياً بالحرق أو السحق أو بالإشعاعات.

الحبة السوداء :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسـول الله ﷺ « إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام والسام الموت » .

الدكتور أحمد القاضي من أبناء المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية نظر في هذه الأحاديث وقال : لابد أن تكون لها علاقة مباشرة بجهاز المناعة في جسم الإنسان وأجرى الدراسة على بعض المرضى وانتهى من خلال دراساته إلى أن هناك

زيادة واضحة في عدد خلايا الدفاع عن جسم الإنسان المسمى ت٤ ت٨ وأنتج عقاراً دوانياً من الحبة السوداء والثوم والعسل ووافقت الأجهزة الرسمية بأمريكا على التصريح بإنتاجه بعد ثبوت أثره الفعال.

زيت الزيتون :

روى الترمذي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة » .

جاء ذكر الزيتون في كتاب الله في سبعة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [الأنعام٩٩] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [الأنعام ١٤١] .

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور٣٥] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون ٢٠] .

والقسم به في قوله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [التين١] .

نسبة الأحماض الدهنية في زيت الزيتون قليلة جداً ودهونه غير مشبعة لها قيمة صحية عالية وبالمسح الدقيق تبين أن تناول زيت الزيتون بانتظام يسهم في الوقاية من العديد من الأمراض التي منها انسداد شرايين القلب التاجية ، ارتفاع نسبة الدهون الضارة في الدم ، ارتفاع ضغط الدم ، البول السكري ، بعض الأمراض السرطانية.

علاج العين :

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن زيد – رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين »

من الفطريات ، ومن المن أي بفضل الله ومنه فهي لا تزرع ولا تستزرع .

الدكتور المعتز المرزوقي طبيب العيون المصري توصل إلى عدة نتائج هامة أن ماءها يمنع حدوث التليف في حالات أمراض العين المعروفة مثل التراكوما وأن استخدامها في علاج الرمد أدى إلى نقص شديد في الخلايا الليمفاوية الناتجة عن هذا الالتهاب ويقلل من حدوث هذا التليف في قرنية العين ، قال ابن سينا : « انطلاقاً من هذا الحديث فإن المسلمين كانوا يغلون ماءها ثم يبردونه ويكتحلون به » .

كمية المطر السنوية :

روى البيهقي مرفوعاً عن ابن مسعود –رضي الله عنه– : « ما من عام بأقل مطراً من عام ولكن الله يصرفه–أو يصرّفه » وقد رواه الحاكم في المستدرك موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ثبت علمياً أن مجموع ما يتبخر من الأرض إلى الغلاف الغازي ثابت في كل عام ، ومجموع ما يحمل الغلاف الغازي من بخار الماء ثابت في كل عام ، وأن مجموع ما ينزل ثابت في كل عام ولكن الله يصرفه.

وقفة مع النجوم من خلال السنة :

روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال : فجلسنا فخرج علينا فقال: « ما زلتم هاهنا ؟ فقلنا : يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء . قال : أحسنتم أو أصبتم . قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة أصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » .

النجوم أفران كونية يتم داخلها سلسلة من التفاعلات النووية تعرف باسم عملية الاندماج النووي ينتج عن طريقها تخليق كافة العناصر التي تحتاجها كل من الأرض والسماء الدنيا ، وبالإضافة إلى قوى الجاذبية التي تربط نجوم سماء الدنيا بعضها البعض ربطاً محكماً ، فإن هناك قوى أخرى – القوة النووية الشديدة والقوة النووية الضعيفة والقوة الكهربائية والمغناطيسية والقوة الكهرمغناطيسية ، فالنجوم بضخامة كثافتها تهيمن بقوى جذبها على كل ما يدور في فلكها من كواكب وأقمار فإذا انهارت النجوم انهار الكون كله . قال تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار ١ ، ٢] .